



رحيل سعد الشاذلي ، ومسئولية الثورة في فتح الملفات المحرمة (3 - 4)

بقلم: رانف محمد الويشي

13 مارس 2011

تكلما في الحلقة الأولى عن حياة البطل المغوار الفريق سعد الدين الشاذلي ، وعرضنا المظالم التي تعرض لها على يد كل من السادات وحسنى مبارك .. كما تحدثنا في صورة مختصرة عن عمالة أنور السادات للمخابرات المركزية الأمريكية وذكرنا ستة نقاط في هذا الشأن ، كانت النقطة الأخيرة خاصة بدور السادات في تنفيذ الخطة التي وضعها له الداهية اليهودي الصهيوني هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي ، والتي تتكون من ثلاث مراحل ..

تحدثنا في الحلقة الثانية عن المرحلة الأولى من خطة هنري كيسنجر وفيها أطلق السادات العنان للجيش المصري بالتحرك بحرية لتحقيق نصر محدود للإيحاء للشعب والجيش باسترداد كرامته بقوة السلاح .. كما تحدثنا عن المرحلة الثانية من تلك الخطة والتي يقوم فيها السادات في الأسبوع الثاني من تلك الحرب بوضع عراقيل أمام الجيش المصري ويجبر القادة الميدانيين على تنفيذها ويهدد من يخالفه بالمحاكمة العسكرية ، وذلك لفرض حصار على الجيش الثالث ، كي يبرر التفاوض مع العدو بحجة إنقاذ حياة المحاصرين .. وقد عرضنا في تلك الحلقة الثانية أقوال المتخصصين من القادة الميدانيين الذين اشتركوا في تلك الحرب ..

في الحلقة الثالثة اليوم سواصل الحديث عن المرحلة الثانية لخطة هنري كيسنجر والتي سيكون نهايتها فرض حصار يتبعه تفاوض :

6- في يوم 17 أكتوبر (الأربعاء) :

تلقى الفريق الشاذلي في الثالثة من صباح اليوم اتصالا من اللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث وأخبره بأنه لن ينفذ تعليمات وزير الحربية بتوجيه الضربة من الشرق بدلا من غرب القناة كما يجب لأنه بمثابة انتحار جماعي لقوات اللواء المدرع 25 ..

أقنع الفريق الشاذلي اللواء واصل بضرورة الامتنال لقرار الوزير لأنه فشل في إقناعه .. وقد ذكر الفريق سعد الشاذلي في كتابه السابق أن اللواء قائلا رد عليه قائلا " لا حول ولا قوة إلا بالله ، سأنفذ أوامره ولكنني أقولها مسبقا بأن هذا اللواء سيدمر " ..

تم تدمير 80 دبابة من اللواء المدرع 25 ونجت فقط 10 دبابات اتجهت إلى منطقة كبريت .. استشهد المئات من أفراد اللواء في فترة قصيرة لوقوعه في منطقة محصورة وضيقة حددها له الوزير حيث ضفة القناة على يساره والتلال على يمينه وهو ما أدى إلى فتح النيران المركزة عليه من المدرعات الإسرائيلية وكذلك من القوات الجوية الإسرائيلية التي كانت قد بدأت في فتح ثغرة جوية بعد تدمير بعض بطاريات الصواريخ المصرية غرب القناة ..

(ملحوظة : أعطى الإتحاد السوفيتي لمصر قبل الحرب بفترة قصيرة 200 دبابة من طراز T62 وتمتاز بأنها من عيار 105 مم ، سحب السادات - الخائف من جيشه - نصفها ووضعها في لواء الحرس الجمهوري 27 ، ووزع النصف الباقي بين اللوائين المدرعين المستقلين بالجيش المصري وهما 25 بالجيش الثالث ، 15 بالجيش الثاني ..إذن كانت نصف دبابات اللواء 25 مدرع مستقل من طراز T62 ، أي من عيار 105 مم وهي بذلك تتساوى مع عيارات دبابات إسرائيل ، وبدلا من أن يحسن السادات استخدام هذا اللواء استخدما جيدا ويستمتع إلى نصائح القادة الميدانيين المتخصصين يقوم بمؤامرة لتدمير هذا اللواء ، يحدث ذلك في ظل صمت مطبق من جانب وزير الحربية والذي كان كالحاتم في يد السادات) ..

يقول الفريق كمال حسن على في كتابه " مشاوير العمر " في ص 342 ، 343 ما يلي :

" كان قرار دفع اللواء المدرع 25 مستقل من قطاع الجيش الثالث إلى اتجاه الشمال على الضفة الشرقية للقناة بدلا من الضفة الغربية لإغلاق مدخل عبور الإسرائيليين قرارا غير واقعي مما عرضه لهجوم الدبابات الإسرائيلية التي كانت تتحرك بموازاته خلف التلال .. كان دفع هذا اللواء إلى الضفة الشرقية للقناة فكرة غير صائبة لأن طريقه هناك كان ضيقا بمحاذاة البحيرات المرة بالإضافة إلى حرمانه تغطية من مدفعية الجيش الثالث ، ولحق فإن اللواء عبد المنعم واصل عارض بشدة تحريك اللواء المدرع ولكنه اضطر لتنفيذ التعليمات بعد أن قطعت عليه القيادة كل سبل المعارضة مما أدى إلى تحمل هذا اللواء إلى خسائر فادحة ، كان الرئيس السادات شخصيا هو المعارض لنقل هذا اللواء إلى الغرب بدلا من الشرق لمواجهة الثغرة " ..

يقول القائد الجديد للجيش الثاني اللواء عبد المنعم خليل (تولى القيادة في 16 أكتوبر) في مذكراته ما يلي :

" للتاريخ فقد كنت أوافق الفريق الشاذلي على وجهه نظره بسحب اللواء 25 مدرع إلى الغرب ، وأضيف عليها ما قررته ساعتها بعودة اللواء 15 المدرع من رأس الشاطئ للفرقة 18 للقنطرة شرق إلى الغرب ليكون الاحتياطي الوحيد لدى وكالعادة لم يتصدق على قراري هذا أيضا وأصر القائد العام على رأيه وأصدر أوامره بها وللأسف فقد تعرضت قوات الألوية التي تم الدفع بها حسب خطته إلى كمائن من قوات العدو المدرعة والتي تغطيها وتحميها الطائرات الإسرائيلية مع التركيز المدفعي والصوري فلم يستطع مواصلة التقدم وتكببت القوات خسائر كبيره وارتدت إلى رأس شاطئ الجيش الثالث " ..

ثم يضيف اللواء خليل في فقره هامة عما حدث في ليلة 17 أكتوبر ما يلي :

" من ضمن محاولاتي المستميتة لتكوين احتياطي لقائد الجيش طلبت من هيئه عمليات القوات المسلحة بعد غروب شمس يوم 16 اكتوبر دفع لواء مظلات لحماية الضفة الغربية للقناة ما بين جنوب الدفرسوار وحتى جبل مريم لتأمين الإسماعيلية وتأمين المنطقة غرب رأس شاطئ الفرقة 16 مشاة والفرقة 21 المدرعة وهذا يمكنني من إعادة تجميع عناصر اللواء 118 مشاه الميكانيكي لينفذ مهمته الأساسية في تأمين قطاع مدينه الإسماعيلية ويعمل كاحتياطي لقائد الجيش الثاني غرب القناة كما أصدرت أوامري بسحب إحدى كتائبه المدعمة للفرقة الثانية مشاه شرقا ، للأسف لم يتصدق على طلبي السابق .. كما اتخذت قرارا بسحب اللواء 15 المدرع المستقل الموجود في قطاع الفرقة 18 مشاه بالقنطرة شرق ليقوم بواجبه القديم في الخطة الدفاعية السابقة لقرار العبور وهي مهام كان مكلفا بها من قبل ومدربا عليها تدريبا واقعيًا وبالطبع لم يتصدق على قراري هذا أيضا ، بل وقد أخطرتني الفريق أول أحمد إسماعيل بأن هذا ضد رغبة رئيس الجمهورية وأنه لا يوافق على سحب أي وحدات من الشرق إلى الغرب وأنه زعلان مني!!

كيف أقود قوات وأتحمل مسنوليه تطهير ثغره الدفرسوار وتأمين قواتي وصد هجمات العدو بدون احتياطي في يدي كقائد جيش؟

لقد استمر تدهور الموقف واتساع الثغرة حتى أنه أصبح للعدو مع آخر ضوء يوم 17 اكتوبر في منطقته الاختراق في الغرب حوالي 250 دبابة مستعدة للقتال من صباح اليوم التالي بالرغم من أن الصورة لم تكن واضحة عن موقف قوات العدو في الغرب ولم تصلني حتى وقتها معلومات كافية تحدد بالضبط أين العدو وما هي قدراته ؟ .. وبالرغم من كل هذا كانت قواتنا تقاتل في بسالة وقوه وإصرار وعناد وكببت مدرعات العدو بعض الخسائر ، لكن التفوق الإسرائيلي في المدرعات تعاونها القوات الجوية الإسرائيلية التي سيطرت على المنطقة بعد تدمير وإسكات معظم كتائب الصواريخ المضادة للطائرات بالمنطقة لم تمكن قواتنا من الهجوم واتخذت أسلوب الكمان والدفاع في مواقع محصنه إلى حد ما والتي كانت تستخدمها قواتنا قبل العبور شرقا وظلت عناصر المجموعة 129 صاعقه تقاتل بالقرب من مطار الدفرسوار لمدة أكثر من 72 ساعة قتالا ضاريا لآخر طلقه وآخر رجل .. "

يقول الفريق الشاذلي في كتابه " مذكرات حرب أكتوبر " ما يلي " :

" أمر السادات أن يتم التعامل مع أفراد اللواء المدرع 25 على أنهم جناء للتغطية على قراراته العسكرية الكارثية التي اتخذها بدفعهم إلى معركة خاسرة " ..

7- في يوم 18 أكتوبر (الخميس) :

أكملت إسرائيل بناء كوبري فوق القناة .. تم تدمير اللواء المدرع 23 الذي حضر من القاهرة وكان بها كاحتياطي إستراتيجي وأصيب قائده العقيد حسن عبد الحميد بسبب ضلالة قواته التي كانت تواجه أكثر من فرقة مدرعة إسرائيلية غربا مع سيطرة جوية بدأت تتحرك بحرية بسبب اتساع حجم الثغرة الجوية الناتجة عن ضرب صواريخ الدفاع المصري..

أخذت طلائع فرقة الجنرال إبراهيم آدان المدرعة في الظهور متجه جنوبا إلى السويس لمحاصرة الجيش الثالث ، بينما كان الجناح الأيمن للجيش الثاني – الفرقة 16 مشاة - يتعرض للتطويق من الخلف من قبل فرقة شارون التي كانت تتحرك شمالا .. وصل السادات إلى مركز 10 في الثانية ظهرا وطلب من الفريق الشاذلي التوجه فورا إلى الجيش الثاني لرفع المعنويات .. كان الطريق إلى القاهرة قد أصبح مكشوفاً .. وصل الفريق الشاذلي إلى قيادة الجيش الثاني في الساعة 5:00 عصرا لقيادة القوات للحيلولة دون تطويقه (المرة الرابعة له منذ بدء القتال) ..

قدم اللواء المظلي 182 بقيادة العقيد إسماعيل عزمي مع كتيبتي صاعقة مصرية واللواء المدرع المستقل 15 والقوات الجزائرية الخاصة والمدرعة (اللواء الجزائري الثامن المدرع واللواء 12 الجزائري مشاة ميكانيكي) بطولات تفوق التصور وتمكنوا من وقف تقدم شارون وتكبدت القوات العربية في هذا اليوم خسائر تفوق التصور من جنودها وقادتها .. أدرك السادات متأخرا أهمية سحب فرقتي المدرعات إلى الغرب ، لكنه اقتصر ذلك على الفرقة المدرعة الرابعة فقط ..

يقول اللواء عبد المنعم خليل قائد الجيش الثاني في مذكراته عن تدمير اللواء 23 مدرع في هذا اليوم ما يلي :

" تدخل وزير الحربية للمرة الثانية بصوره مباشرة في أعمال القتال والمواجهة بالقوات بقراره في الساعة 1645 من يوم 17 بدفع اللواء 23 مدرع لتوجيه ضربة مضادة في اتجاه الدفرسوار دون توقف وبأسرع ما يمكن وتقبل الخسائر ..حاولت مراجعه وزير الحربية في هذا القرار لصعوبة تحرك هذا اللواء ليلا من منطقته تمر كزه ولم يحصل قائده حتى على أي معلومات تكون كافيته له عن العدو المحتمل أن يقابله ولم يكن له دراية تامة بالأرض في هذه المنطقة ولم يتسن له ولقاداته استطلاع الأرض وطرق التقدم والمناطق المحتمل مقابله العدو بها ونصحت بإعادة التفكير في هذا القرار ونجحت في إقناع الوزير بالتأجيل لـ12ساعة ليكون 6.3 من صباح اليوم التالي ..

في السادسة من صباح 18 أكتوبر اتصلت بوزير الحربية أطلب منه التصديق على التأخير نصف ساعة حتى ينقشع الضباب وبعد تردد وافق وحتى اللواء الجسمي رئيس هيئة العمليات أخطرنا بأن الضباب الكثيف يمنع خروج طلعات الطيران التي خصصت لمعاونه هذا اللواء في هجومه بالتمهيد النيرانى من الجو وأخطرني بالاعتماد على المدفعية في التمهيد وهذا بالطبع يضعف من إمكانية الهجوم ..

مع الأسف الشديد تعرض هذا اللواء المدرب تدريباً راقياً إلى هجمات جوية معادية عنيفة ومركزة وطالبت القيادة العامة بحمايته من الجو بطلعات من طائراتنا والتي مفروض أنها خصصت لذلك حتى يمكن مواصلة التقدم وتنفيذ المهمة ، للأسف وصلني بلاغ من ضابط اتصال الجيش الثاني مع اللواء 23 يفيد بأن اللواء قد تشتت ، وكان بلاغا مثيرا ومخيفا بحق ..

مع الأسف فقد نجح العدو من إيقاف هجوم اللواء 23 مدرع وكذا أعمال قتال اللواء 116 مشاة ميكانيكي وتكبدت قواتنا خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات وفقدنا عددا كبيرا من دبابات اللواء المدرع واستغل العدو الموقف ونجح في تطوير واقتحام طريق أبو سلطان –المعاهدة وواصلت قواته تقدمها تجاه تقاطع طريق أبو صوير -الإسماعيلية كما وصلت مفاوز منها إلى الجنوب تجاه مطار فايد وشمالا تجاه واحة المنايف وتمر ساعات نهار يوم 18 أكتوبر في قتال عنيف مرير وساعات قلق أعنف ..

في الساعة 1700 فوجئت بوصول الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس أركان حرب القوات المسلحة إلى مركز قيادتي في الإسماعيلية وتولى قيادة الجيش الثاني..

أصدر الفريق الشاذلي بضع قرارات الغرض منها هو تجميد الموقف والمحافظة عليه وعدم تدهوره أكثر من ذلك وهو ما اتضح جليا في اتصاله تليفونيا باللواء الجسمي رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة في الساعة 1850 قائلا له " الموقف غير ما كنا نتوقع وأنا أعطيت القيادة لعرايبي (يقصد العميد إبراهيم العرابي قائد الفرقة المدرعة 21) وقلت لهم يصدوا فقط ولا يقوم بهجوم مضاد الآن والمنطقة بها عدو غير مسيطر عليه وإسماعيل (يقصد إسماعيل عزمي قائد اللواء 182مظلات) حسن الموقف في جزء كبير من المنطقة غير انه لا يمكن التعامل مع عمليات الإبرار المعادية إلا بالمدفعية و..... الخ " .. هذه هي الصورة التي كونها الفريق الشاذلي عن الموقف وبالطبع صاحب ذلك العديد من القرارات والتوجيهات والأوامر التي أصدرها بصفه شخصيه محضة إلى كاهه وحدات المواجهة وبعدها ذهب إلى الاستراحة بعد منتصف الليل بقليل وتوليت القيادة ثانيه ساعتها وواصلت متابعه الموقف " ..

يقول الفريق الشاذلي في كتابه السابق ما يلي :

" أدرك السادات عصر هذا اليوم بضرورة عودة الفرقة المدرعة الرابعة إلى الغرب لكنه كان ما زال رافضا لسحب ما تبقى من اللواء المدرع 25 إلى الغرب رغم خسائره ومعنوياته الهابطة .. لم يعد الآن يكفى سحب تلك الفرقة إلى الغرب لأن العدو كان قد أصبح يتواجد بفرقتين مدرعتين في غرب القناة " ..

8- في يوم 19 أكتوبر (الجمعة) :

واصلت فرقة إبراهيم آدان المدرعة طريقها جنوبا إلى السويس مستفيدة من تدمير صواريخ الدفاع الجوي المصري غرب القناة وبالتالي سيادتها الجوية .. فرقة شارون المدرعة تواصل محاولاتها في التوجه شمالا لتطويق الجيش الثاني لكنها تصطدم بمقاومة قل نظيرها من قوات مصرية وجزائرية يقودها الفريق الشاذلي بعد أن رفض العودة إلى القاهرة .. سقط في هذا اليوم شهداء ستذکرهم الأجيال بعد الخروج من النفق المظلم الذي تقيد فيه مصر الآن بحروف من نور ونار .. من هؤلاء البطل العقيد صاعقة إبراهيم الرفاعي قائد المجموعة 39 مع رجاله من القوات الخاصة والذي يعرف كل الإسرائيليين ماذا أوقع فيهم ومنهم أيضا الشهيد العميد أحمد عبود الزمر قائد الفرقة 23 مشاة ميكانيكي وكذلك الكثير من مقاتلي الجيش الجزائري ..

يقول اللواء عبد المنعم خليل قائد الجيش الثاني في مذكراته عن هذا اليوم ما يلي :

" قبل فجر يوم 19 فوجئت بالعقيد إبراهيم الرفاعي قائد مجموعته عمليات خاصة واقفا أمامي وقال لي بعد التحية انه كلف بمهمة خاصة من القائد الأعلى الرئيس السادات وسيتوجه بمجموعته مباشرة إلى منطقته عمله في الدفرسوار لإنهاء الموقف بطريقته الخاصة واستمعت له وهو يقول هذا السر الخطير وتمنيت له التوفيق .. فقط قلت له لا يمكنك يا إبراهيم الوصول إلى فايد عن طريق الإسماعيلية - نفيشة ولا بالطبع عن طريق القناة فهذه المناطق بها كمائن العدو وأحسن طريق لمجموعتك هو تحركها من الخلف عن طريق القصاصين أو الجيش الثالث ولكنه رد على بثقة واعتزاز قائلا " لا إحنا لنا طرق أخرى للوصول " .. كان الصبح قد لاح بالخارج وحضر الفريق الشاذلي في لحظه انصراف الرفاعي إلى مهمته وبدا الهمس .. قال له الفريق الشاذلي لا تنفذ هذه المهمة ، الحقيقة أنى أعجبت بهذا القرار وقال له مهمتك هي تطهير العدو على طريق المعاهدة من جنوب نفيشة حتى تقاطع طريق سيرابيوم - الإسماعيلية وتأمين منطقته النطاق ثم القيام بعمليات إغارة ليليه على العدو الموجود بالمنطقة وتحرك سعت 900 يوم 19 أكتوبر 1973م وخذ معك خريطة وتحرك الرفاعي غاضبا وكان هذا أخر لقاء لنا معا إذ استشهد رحمه الله بعد ساعتين من هذا اللقاء وانتهت بذلك مهمة مجموعته التي تولى قيادتها من بعده طبيب المجموعة مؤقتا (يقصد المقدم صاعقة طبيب على ناصر) .. ومع الأسف بدأ الموقف يتطور من سيئ إلى أسوأ والفريق الشاذلي مازال يتولى القيادة والعدو مازال يتدفق غربا وينتشر في المنطقة غرب قناة السويس وجنوب الإسماعيلية - نفيشة .. تتوالى اتصالات الفريق الشاذلي بالوزير أحمد إسماعيل وتتناول تطورات الموقف والتي كانت كلها عن استمرار تدهور الموقف وأن الوضع أصبح حرج ..

وصلت في الساعة 2230 في مساء 19 أكتوبر المجموعه 139 صاعقه بقياده العميد أسامة إبراهيم وتسمى " مجموعة أسامه " بمهمة خاصة من القيادة العامة وهي العمل في الاتجاه جنوبا إلى البحيرات المرة ولما قابلني قائدها أعطيته صورته عن الموقف في المنطقة التي تعمل بها قواته وفكره تامة عن الأرض في هذا القطاع وأسلوب القتال الذي تحتمه الظروف وهي مجموعات قتال صغيره وعناصر اقتناص طالما أن المهمة المكلف بها مطلوب تنفيذها فورا أي ليلا وان التحرك بالسيارات ليلا على هذه المدقات غير سليم وسيعرض قواته للخطر الجسيم ورغم اقتناعه بما أعطيته من خبره خاصة وأنه لا يعرف الأرض في المنطقة وليس بيده إلا تنفيذ المهمة التي أعطها له وزير الحربية وقال " أمرني وزير الحربية بالتنفيذ الليلة " ..

تكنى العميد أسامة وقلبي يحدثني بأنه هو ورجاله سيكونون صيدا ثمينا للعدو وهو ما قد كان بعد أن انطلق لتنفيذ مهمته والتي أفهمته بعد أن أخطرت الفريق الشاذلي بالموقف بكلامه وهو الذي كان قائدا للقوات الخاصة وهو على دراية بأسلوب أعمالها وهي أن يتحرك في مجموعات سرايا أولا ثم تزداد إلى كتائب على ضوء نتائج التقدم ومقاومه العدو وتم هذا بالفعل ..

في الساعة 115 يوم 20 أكتوبر أي بعد انطلاق أسامه ومجموعته لتنفيذ مهمة وزير الحربية اتصل أبى الوزير احمد إسماعيل شخصيا وهو في انفعال شديد وهياج عجيب قائلا لي " أنا بعث مجموعته صاعقه في مهمة معينه ليه أنت منعتها من العمل ، إحنا عاوزين ننهي الموقف بسرعة " ، كان ردى عليه بانى لم أعطها وإنما كل ما فعلته هو أنني كنت أمينا في إعطائي قائدها الصورة الكاملة والحقيقية للموقف بناء على خبرتي في القتال على هذه الأرض وأنني قلت له انه لن يستطيع أن تنفيذ المهمة بهذه

الصورة السريعة ليلا ..

في هذه اللحظة بالذات أرى أمامي وجه العميد أسامه قائد مجموعته الصاعقة وقلت للوزير هذا هو أسامه معك .. قال أسامه لوزير الحربية " لا يا سيادة الوزير اللواء عبد المنعم لم يعطلني لقد كلمني بأمانة ونصحتني ولكنني اضطررت لتنفيذ الأوامر وحدثت خسائر كثيرة في وحداتي ودمرت العربات وتمكنت من التخلص من الكمين وانسحبت كيلو للخلف لضمان السيطرة " .. لم أعلق أو أقول شيئا على هذه المكالمة سوى الحمد لله ، بعدها أصدرت أوامري إلى العميد أسامه بإعادة تجميع قواته وحددت له مكانا في معسكر الجلاء للراحة والاستعداد للعمل في نفس الاتجاه وفي نفس المهام المكلفين بها حسب أوامر وزير الحربية والقائد العام..

كان لصدمة هذه المكالمة وأسلوبها المؤلم من وزير الحربية لي في الساعات الأولى من صباح يوم 20 أكتوبر أثر كبير في نفسي وما حدث من خسائر في مجموعته صاعقه شابه شجاعة ، لكن هذا الجرح العميق لمستته يد أرحم الراحمين بأن أظهر الحق في لحظه كنت في أشد الحاجة إليه ، لم أستطع طول هذه الفترة منذ وصولي قبل غروب شمس يوم 16 أكتوبر 1973م حتى هذه اللحظات أن أجد للراحة طعما أو مذاقا أو مكانا في عقلي أو قلبي أو جسدي والله وحده يعلم وهو الذي أعطاني قدره الصبر والصمود " ..

9- في يوم 20 أكتوبر (السبت) :

دفع الإسرائيليون بفرقة مدرعة ثالثة غرب القناة بقيادة الجنرال كلمان ماجن ، كانت مهمتها الإجهاز على تدمير ما تبقى من كتائب الصواريخ المصرية غرب القناة وتأمين مؤخرة الجنرال إبراهيم آدان المتجه جنوبا إلى السويس ومساعدة مقدمة الجنرال شارون الذي يحاول الاتجاه شمالا إلى الإسماعيلية ...

كان الموقف في غرب القناة يهدد بكارثة حقيقية حيث بدأ الضغط يشد على الفرقة الرابعة المدرعة وحدها الموجودة غربا في مواجهة تلك الفرق بينما تقاوم بمحاولات مستمينة لمنع محاصرة الجيش الثالث وفي نفس الوقت في حماية الطريق إلى القاهرة .. أصبح الطيران الإسرائيلي يسيطر على سماء المنطقة بعد أن دمر كل بطاريات الصواريخ المتواجدة في ظهر الجيش الثالث ، وقد دفع ذلك إلى تدخل الطيران المصري - الغير مؤهل لتلك المنازلة - في محاولات يائسة لوقف انهيار الموقف بصورة كاملة وهو ما أدى إلى سقوط 19 طائرة مصرية في معركة جوية واحدة ..

عاد الشاذلي إلى مركز 10 بالقاهرة في العاشرة مساء بعد أن أمضى يومين في قيادة الجيش الثاني وحال دون تطويقه وفتح الطريق إلى القاهرة ..

أخبر الفريق الشاذلي فور عودته وزير الحربية بأن مصر مقبلة على كارثة محققة إذا لم يتم سحب 4 ألوية مدرعة من الشرق إلى الغرب فورا ، لأن حياة 45 ألف مقاتل - وهم مقاتلوا الجيش الثالث - ستكون في يد إسرائيل التي أصبح يتواجد لها غرب القناة ثلاث فرق مدرعة ولن تصمد أمامهم الفرقة الرابعة المدرعة وحدها التي سحبت متأخرة إلى الغرب ، وسيواجه الجيش الثاني نفس المصير في مرحلة تالية ..

طالب قائد المدفعية اللواء محمد الماحي بحضور رئيس الجمهورية فورا للوقوف على الموقف .. وصل السادات في الحادية عشر واجتمع على الفور لمدة ساعة مع وزير الحربية وخرج كي يقول أمام قادة العمليات " لن أسحب جندي واحد من الشرق " وأخذ طريقه في الانصراف .. رفض الفريق الشاذلي إشارات من بعض المتواجدين تطلب منه التعقيب بسبب توتر الموقف ..

يقول الفريق الشاذلي في كتابه السابق ما يلي :

" لقد كان القضاء على الثغرة يوم 16 أكتوبر سهلا وميسورا لو لم يثر السادات في وجهي وكأنني ارتكبت حماقة ، وفي يوم 20 أكتوبر كان الموقف لا يزال تحت السيطرة ويمكن القضاء على الثغرة لو أن السادات أخذ برأيي ولم يرفض سحب جزء من قواتنا من الشرق ، إن في ذلك لعبرة ودرسا لمصر وأبنائها ، إنه درس قاس دفعت مصر والعرب ثمنا له غاليا ، ولكنه درس على أية حال .. إن السادات هو أحد مئات من حكام مصر الذين حكموا هذه البلاد عبر 7 آلاف سنة ، سيذهب ويحيي من بعده مئات آخرون وستبقى مصر شامخة عزيزة الجانب وسيشهد التاريخ أن حرب أكتوبر 73 قد أبلى فيها الجندي المصري أحسن بلاء وأن الضباط والجنود جميعا قد بلوا جهدهم وأدوا أروع أداء ، إلا أن حاكم مصر في ذلك الوقت المتعطش إلى السلطة وحب الظهور قد أجهض انتصارهم " ..

أما اللواء عبد المنعم خليل قائد الجيش الثاني فيقول عن هذا اليوم في مذكراته ما يلي :

" كان يوم 20 أكتوبر من أخطر أيام القتال في الحرب كان قد بلغ وقتها حجم القوات الإسرائيلية التي اخترقت الدفاعات إلى الضفة الغربية لقناه السويس حوالي 12 ألف رجل وحوالي 300 /200 دبابة ، سيطرت هذه القوات على شريط مواز لقناه السويس ويقع بين شمال البحيرات المرة وجنوب الإسماعيلية وقد تمكنت من تدمير أكبر عدد من قواعد الصواريخ المصرية ، بذلك فتحت الطريق لقواتها الجوية لاستخدامها بحريه نسبيه في هذا القطاع خاصة وقد اعتمد على المطارات التي استولت عليها وهى مطارى فايد والدفرسوار ..

كانت ضربات العدو مركزة في مناطق عديدة من الجبهة وخسائر قواتنا تزداد .. فوجئت بعدها باستدعاء الفريق سعد الشاذلى لي في صالون الاستراحة العلوي وخريطة الموقف أمامه وقال لي " ما رأيك ؟ الموقف خطير جدا وأنا عاوز أنزل مصر أقابل الرئيس وأطلب منه إيقاف القتال" .. قلت له أن الموقف بالفعل خطير جدا ولكنى لا أستطيع كقائد جيش أن أطلب إيقاف القتال وعملي هنا هو القتال واشرف لي الموت هنا من أن أطلب هذا..

اتصل الفريق الشاذلى بوزير الحربية قائلاً له " عن إذنك آجى أعرض على سيادتكم الموقف وكذا الموقف على الجهات الأخرى ، هيكل اشتغل كويس (يقصد العقيد على هيكل قائد المجموعة 129) قواتنا انسحبت من فايد من سعت 1000اليوم والعدو احتل السفوح الغربية والمنبسى استشهد (لم يصل كاتب المقال إلى شخصيته)..عاد الفريق الشاذلى إلى القاهرة الساعة 1330 من يوم 20 أكتوبر وعادت لي مسؤولية القيادة للمرة الثالثة..

عدت بعدها إلى غرفه عمليات الجيش ، لكنى أود أن أوضح نقطه هنا ، هو أن ما تعرضت له في القيادة هو نفس ما تعرض له الفريق الشاذلى من تقييد لحرية القائد في تحريك وتنظيم وتوجيه قواته وهذا أكبر مسبب لضعف القيادة والسيطرة ، فعندما أرسل القائد الأعلى الفريق الشاذلى إلى الجيش الثاني بعد ظهر 18 أكتوبر لمواجهة الموقف بالثغرة ، لم يعطه الحق أو السلطة المفروض أن تكون معه للمناورة بالقوات ومحاولة تكوين احتياطي للتعامل مع الثغرة التعامل العسكري السليم ، وهو الأمر الذي كان لا بد أن لا تتدخل فيه القيادة مطلقاً وتحرم القائد من هذا الحق بل وتتوعده بالعقاب إذا أقدم عليه ..

فكيف يمكن للقائد السيطرة على قواته وهو لا يملك حتى الحق في توجيهها حسبما يرى وهذا مخالفا لكل التعاليم العسكرية ومبادئ القيادة التي تعتبر مبدأ المناورة بالقوات كمبدأ حيوي من مبادئها ، هي نفس الظروف التي واجهتني كقائد للجيش عند توليت المسؤولية عندما حرموني من حرية المناورة وتكوين احتياطي ، بل وهددت بأن التفكير فيها - وليس تنفيذها ! - قد أثار غضب القائد الأعلى وزعل منى كما أخطرني القائد العام بذلك .. كما أن القيادة العامة دفعت قوات من الخلف للتعامل مباشره مع الثغرة بأوامرها وتخطيطها وهذا خطأ كبير في أسلوب القيادة والسيطرة على القوات ، وكانت كل نتائج هذه المعارك المخطط لها خارج نطاق الجيش الفشل والخسائر التي لا مبرر لها..

سنوات الحديث في الحلقة القادمة - إن شاء الله - فإلى لقاء ..

رانف محمد الويشى

سانت لويس - ميزورى - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com